متصلة بالأحلام وأنواعها نكتفي بأن نشير الى بعضها . روى ابن ماجة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرؤيا ثلاث : فبشرى من الله ، وحديث من النفس ، وتخويف الشيطان . وفي الصحيحين : « الرؤيا ثلاث : رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان . والمعتزلة يرون في الأحلام آراء مختلفة : فيرجعها بعضهم الى الله ، ويذهب بعض آخر إلى أنها من فعل الطبائع[١] ومنهم من يجمع بين هذين ويقول إنها على ثلاثة أنحاء : نحو يحذّر الله به الانسان في منامه من الشر ويرغبه في الخير ، ونحو من قبل الانسان ، ثم نحو أخير من قبل حديث النفس والفكر[٢] . ويقول النظام إن الرؤيا خواطر مثل ما يُخطِر البصر[٣] . وهذا التفسير على اختصاره يحمل في ثناياه بعض الأفكار الأرسطية

إلا أن رأي أرسطو في الأحلام يبدو بشكل واضح لدى الفلاسفة . وقد خلف الكندي رسالة في ماهية النوم والرؤيا سبق أن أشرنا إليها . وهذه الرسالة لا تزال حتى اليوم بين مخطوطات استامبول ، ونرجو أن نوفق الى نشرها قريباً[٤] وقد وقفنا عليها من طريق آخر ، فان المستشرق الايطالي البينو ناجي نشر في أخريات القرن الماضي بضع رسائل للكندي مترجمة الى اللاتينية[٥] وبين هذه الرسائل واحدة عنوانها De somno et visions (النوم والرؤيا) ، ويكاد يكون من المحقق أن هذه الرسالة اللاتينية ليست إلا ترجمة للرسالة العربية المتقدمة . ونظرة الى هذه الترجمة اللاتينية تكفي لأثبات أن الكندي تأثر تمام التأثر بأبحاث أرسطو السابقة المتعلقة بالنوم والرؤيا . وقد قارن البينو ناجي بعض التعريفات الكندية بما يقابلها من التعريفات الأرسطية وأظهر في جلاء ما بينهما من قرابة[٦] . وبهذا وضع الفيلسوف العربي أساس نظرية الأحلام الفلسفية في الاسلام

(يتبع) ابراهيم مدكور

(١) المصدر نفسه ، II ، ٣٤٣

(٢) المصدر نفسه ، II ، ٤٣٣ ، ٤٣٤

(٣) المصدر نفسه ، II ، ٤٣٣

(٤) Bitler , Archiv Orientalni IV 1932, p. 64.

(٥) A l Kundi , Die philos. Abh. p 12 et sulv.

(٦) Ibid. , p. xxIII.

صور سياحية

٦ ـ يوم في فرساي

بقلم سائح متجول

في باريس جمهرة من الصروح والمشاهد التاريخية العظيمة التي تجذب الزائرين بماضيها وروعتها ؛ ولكن فرساي تتمتع بشهرة خاصة في التاريخ والسياسة ؛ وقد كانت مسرح بعض الأحداث العالمية الكبرى التي غيرت مصاير التاريخ والأمم ؛ وبستان فرساي آية في العظمة والروعة والجمال

فمتى كنت في باريس ، فيجب ألا تفوتك زيارة فرساي وقصرها العظيم

وفرساي في الواقع من ضواحي باريس ، ولا تبعد عنها أكثر من ثمانية عشر كيلو متراً ؛ وفي وسعك أن تصل إليها بواسطة قطر خاصة من المترو تسير إليها يوم الآحاد ، وفي وسعك أن تقصد إليها بواسطة القطار العادي من محطة مونبارناس

وفرساي مع ذلك مدينة كبيرة يبلغ سكانها زهاء ستين ألفاً تخترقها شوارع كبيرة ، وبها كثير من الفنادق والمطاعم التي أعدت على ما يظهر خصيصاً للوافدين عليها ؛ وفي يوم الآحاد تبدو فرساي كأنها في عيد ، وتكثر فيها الحركة بما يتقاطر عليها من وفود الزائرين من أهالي باريس ، ومن الأجانب من مختلف الأمم

قصدنا إلى فرساي في صباح يوم أحد بالقطار العادي ، وكان غاصاً بالقاصدين إليها من فرنسيين وأجانب ؛ وكان يوماً بديعاً سطعت شمسه بعد أن أزعجنا المطر في باريس أياماً متوالية ؛ فوصلنا إلى فرساي في نحو نصف ساعة ؛ وقصدنا إلى القصر توّاً ، وهو قريب من المحطة ، يشرف على ساحة واسعة ؛ ولفت نظرنا لأول وهلة كثرة الجند الذين يتجولون في المدينة ، وفي فرساي كما علمنا حامية كبيرة

ومن الغريب أن واجهة القصر الخارجية لا تتمتع بكثير من الجمال والروعة ، ومنها يبدو البناء كأنه معسكر ضخم ؛ ولقد ذكرنا ذلك بواجهة قصر الفاتيكان الخارجية التي لا تدلي بشيء من عظمته الداخلية ؛ بيد أننا ما كدنا نجوز إلى ساحة القصر

الداخلية ، ونشرف منها على بستانه العظيم حتى وقعنا على منظر من أروع ما شهدنا

يشرف قصر فرساى من الوجهة الخلفية على بستان شاسع ، قد نظم أبدع تنظيم ، ونمت به الأشجار الباسقة من أنواع لا نظائر لها فى حدائقنا . وفى مقدمة البستان مما يلى القصر مباشرة بحيرة صغيرة ساحرة ؛ وأرض البستان مدرجة ، تمتد منحدرة فى حظائر بديعة من الأحراج الصغيرة ، وحظائر من الزهر تأخذ اللب بمناظرها وألوانها الرائعة ، ويطبع مناظر البستان كلها طابع ساحر من الرشاقة والأناقة والتنسيق

وقد حول قصر فرساى كما حول قصر اللوفر إلى متحف ، ولكن القصر فى ذاته تحفة فنية رائعة ؛ وأعتقد أنه يفوق قصر اللوفر من حيث الجمال والخواص الفنية ، وإن كان اللوفر يفوقه من حيث الجلال والهيبة الملوكية ؛ ذلك أن قصر اللوفر كان مقر العرش ، ومقر الملوكية الفرنسية فى أوج عظمتها وازدهارها ، ولم يكن قصر فرساى إلا مصيفا ومقاما مؤقتا ، ولم يغد مقر البلاط الدائم إلا فى فترات قليلة فى أواخر عصر لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر

وقصر فرساى أحدث عهداً من قصر اللوفر ؛ وقد بدأ قصراً متواضعاً أنشأه لويس الثالث عشر ؛ ولكن ولده لويس الرابع عشر فكر فى أوائل حكمه فى توسيع البناء وتحويله إلى قصر ملوكى عظيم الشأن ، فعهد بذلك إلى المهندس « لى فان » أشهر مهندسى العصر ، وخلفه فى تلك المهمة المهندس مانسار ، ثم دى كوتيه ؛ وقام بتنظيم البستان وإنشائه « لى نوتر » وأشرف على زخرفة القصر الفنان « لى بران » وكلهم من أعلام هذا العصر الزاهر ، فجاء القصر وبستانه آية من آيات الفخامة الملوكية والفن الرائع

وقد كان القصر فى المبدأ مصيفاً ومقاماً مؤقتاً للملك وخاصته ، ولكنه غدا فى عصر لويس الخامس عشر مقراً للملك والبلاط ، وكان لويس الخامس عشر يؤثر الأقامة فيه ويمضى فيه معظم أوقاته تحيط به خاصته ، وتقيم فيه خليلاته إلى جانب زوجه الملكة الشرعية كما سنرى

* * *

ويتألف قصر فرساى من طبقتين غير الطبقة الأرضية ؛ والطبقة الثانية والوسطى هى أبدع ما فيه ، وهى التى تضم تحفه وذخائره ؛ وتتكون هذه الطبقة من عدة أجنحة وأبهاء ملوكية شاسعة ، وتضم مجموعة ثمينة من الصور التاريخية التى تمثل كثيراً من المناظر الشهيرة والشخصيات الملوكية فى عصر لويس الرابع عشر ، ولويس الخامس عشر ؛ ويشغل جناح الملك لويس الخامس عشر الطرف الأيمن من القصر ، وقد عرضت فى غرفه الأنيقة مجموعات من الأثاث الملوكى النفيس ، ومنها أثاث غرفة الاستقبال ، وغرفة المكتبة وغرفة النوم ، والمتزين وكلها مما لا يزال يعتبر فى عصرنا من أجمل وأبدع النماذج الفنية ؛ وقد زينت الجدران ببعض المناظر الملوكية من حفلات الاستقبال والصيد وغيرها ، وزينت السقف بأبدع النقوش ؛ وتوجد فى هذا الجناح مجموعة من الصور للملك لويس الخامس عشر وزوجه الملكة مارى لكزنزكا ، وبعض أفراد الأسرة الملكة ورجال الدولة من صنع أعظم مصورى العصر ؛ وفى هذا الطرف أيضاً ، وإلى جانب جناح الملك يوجد الجناح الذى كان مخصصاً لسكنى خليلته المركيزة دى بومبادور ، ومن بعدها لسكنى خليلته الدوقة دوبارى ، ومن الغريب أنه لا يبعد كثيراً عن الجناح الذى كان مخصصاً لسكنى الملكة الشرعية مارى لكزنزكا

ويلى هذا الجناح ، فى وسط القصر ، جناح لويس الرابع عشر ، وهو أفخم وأروع ، وبه غرفة نوم ملوكية مازالت تحتفظ بأثاثها ، وإلى جوارها ترى متزين الملك ، وخزائن الثياب ؛ وقد زين هذا الجناح بصور عديدة للويس الرابع عشر ، فى أوضاع ومناسبات مختلفة ؛ والملك يبدو فيها جميعاً قصير القامة ، محدودب الأنف ، وقد انسدل على كتفيه شعره الغزير ، وبدت على وجه ملامح الكبر والخيلاء

ويوجد فى الطرف الآخر من القصر بهو شاسع تزينه مجموعة كبيرة من الصور التاريخية الضخمة التى تمثل أعظم المواقع الحربية التى انتصرت فيها فرنسا منذ فجر العصور الوسطى حتى عصر نابوليون ، وقد صورت معظم هذه المناظر فى عصر نابوليون واشترك فى تصويرها أعظم مصورى العصر مثل لوى دافيد ، وإيزابى ، وفرنيه ؛ وتبدأ المجموعة بمنظر يمثل انتصار الملك كلوفيس على الرومان الذاليين (سنة ٤٨٦ م) ، ويليه منظر استوقفنا طويلاً لروعته وطرافته ، هو منظر انتصار الفرنج على العرب فى سهول تورو بواتييه سنة (٧٣٢ م) ، وهى الموقعة الشهيرة التى تعرف فى

التاريخ الإسلامى بموقعة البلاط أو بلاط الشهداء ، وفيها يبدو عبد الرحمن الغافق قائد العرب شيخاً مهيب الطلعة تتدلى لحيته البيضاء الطويلة حتى صدره ، وقد وثب بجواده المضطرم إلى الطليعة وهو شاهر سيفه ، ولكن جنده يتساقطون من حوله أمام ضربات الفرنج ؛ وأذكر أنني رأيت هذه الصورة منذ أعوام فى طبعة انكليزية لكتاب المستشرق دوزى عن الأندلس ، وكنت أتوق إلى معرفة الأصل الذى نقلت عنه ، فاذا بى فى بهو فرساى أمام المنظر الرائع وجهاً لوجه

ويلى ذلك فى صفين متقابلين مناظر لأعظم المعارك التى انتصرت فيها فرنسا مرتبة حسب العصور والتواريخ ؛ مواقع شارلمان ، ولويس الحادى عشر ، ولويس الرابع عشر ، وموقعة فالمى أشهر معارك الثورة الفرنسية ضد أوربا ، ثم طائفة كبيرة من مواقع نابوليون مثل مارنجو ، ڤاجرام ، أوسترلتز ، وغيرها

بيد أن أعظم ما يثير الخيال فى أرجاء هذا القصر الشاسع ، هو الذكريات التاريخية العظيمة التى كأن مسرحاً لها ، والتى أسبغت عليه طابعاً خاصاً من الروعة والخلود ؛ ففى قصر فرساى عقدت مؤتمرات ووقعت معاهدات كان لها أكبر الأثر فى تاريخ فرنسا وتاريخ العالم بأسره ؛ نذكر منها عهد استقلال الولايات المتحدة (أمريكا) الذى وقعته انكلترا فى سنة ١٧٨٣ على أثر هزيمتها فى حرب الاستقلال الأمريكية ، وقد وقع هذا العهد فى قصر فرساى ترضية لفرنسا وتكريماً لها لما بذلته من كبير عون للأمريكيين فى هذه الحرب التحريرية ؛ وكانت نتيجة هذا العهد الخالد أن قامت فى العالم الجديد أمة حديثة مستقلة من أعظم الدول الديموقراطية ؛ وفى سنة ١٨٧١ ، على أثر محنة فرنسا وهزيمتها أمام ألمانيا فى الحرب السبعينية (سنة ١٨٧٠) أرغمت فرنسا على أن توقع وثيقة هزيمتها وذلتها فى قصر فرساى نفسه ، فى بهو المرايا الشهير Galerie des Glaces ، وهو البهو الشاسع الذى يتوسط القصر فيطل على البستان من ناحيتيه ، وأرغمت على أن تتنازل لألمانيا عن الالزاس واللورين ؛ وفى بهو المرايا أيضاً أعلنت الامبراطورية الألمانية ، وتوج أول امبراطور ألمانى ، وهو ڤلهلم الأول (جيوم) ، وأجريت مراسيم التتويج فى نفس البهو بحضور ملوك الولايات الألمانية المتحدة ، وهذه ذكريات من أسود الذكريات وأتعسها فى تاريخ فرنسا القوى

على أن فرنسا اعتزمت غداة ظفرها فى الحرب الكبرى أن تمحو هذه الصفحة المشجية وهذه الذكريات الأليمة من تاريخها وأن تثأر لشرفها القوى من ألمانيا ، وأن ترغمها على أن توقع وثيقة انكسارها وذلها فى نفس المكان الذى اختارته ألمانيا من قبل لأرغامها وإذلالها ؛ ففى هذا البهو الشهير ذاته — بهو المرايا — وقعت ألمانيا معاهدة الصلح — أو معاهدة ڤرساى — التى فرضها عليها الحلفاء الظافرون فى يونيه سنة ١٩١٩ ، والتى تثقلها بمختلف القروض والمغارم الهائلة ، وتقضى عليها برد الالزاس واللورين إلى فرنسا

وليس فى بهو المرايا اليوم ما يذكرنا بأعظم معاهدة عرفها التاريخ سوى لوحة بسيطة مؤثرة كتب عليها . « فى ٢٨ يناير سنة ١٩١٩ ، ردت الألزاس واللورين الى فرنسا »

وفى نهاية البستان الشاسع من الناحية الأخرى صرحان آخران منعزلان هما قصر تريانون الكبير ، وقصر تريانون الصغير ؛ وقد أنشأ أحدهما لويس الرابع عشر ، وأنشأ الآخر لويس الخامس عشر ؛ وكلاهما حافل بالذكريات المذبة ، وكلاهما كان مسرحا لليالى والحفلات الباهرة ؛ وكان تريانون ملاذا محبوبا للملكة مارى أنتوانيت ، والامبراطورة جوزفين بوهارنيه زوج نابوليون

* * *

قضينا عدة ساعات فى التجوال فى هذه المعاهد والمشاهد التى تذكى الخيال الى الذروة وتحملنا الى عصور وعوالم أخرى ؛ وكانت الساعة الثانية بعد الظهر حينما انتهينا من هذا التجوال الممتع ، وغادرنا القصر المنيف والبستان الشاسع الى قلب المدينة حيث طفنا بطرقاتها برهة ، ثم عطفنا على مطعم نتناول فيه الغداء ، وقد رأينا أن الأثمان فى ڤرساى ليست أقل ارتفاعا منها فى باريس ، وأن موجة الغلاء المرهق التى قدمنا لك منها فيما تقدم أمثلة عديدة تعم فرنسا بأسرها

ولقد كان يوم ڤرساى خاتمة التجوال فى رحلتنا الباريزية ؛ وكانت الأقامة فى باريس بما فيها من تكاليف وأثقال مرهقة ، وبما استوعبناه من مشاهدها ولياليها المتماثلة ، قد أخذت تثقل على النفس ، فأزمعنا مغادرة العاصمة الفرنسية الى عواصم ومجتمعات أكثر ترحابا وأقل اعناتا وارهاقا ، وأرفع خلالا ومثلا